المقدمة

ارتبطت العلمانية الغربية في نشأتها، بظروف تاريخية ودينية واجتماعية، أدت لبروزها كحل للمشاكل التي أثقلت كاهل الغرب النصراني غير أن الواقع في الشرق الإسلامي مختلف تماماً عن الواقع في الغرب النصراني، وبعد سقوط الخلافة العثمانية، عاش المسلمون مرحلة من الضعف، تسلط الغرب فيها على ثروات الشعوب الإسلامية، ونشر ضلالاته بين المسلمين، فوجدت أتباعاً وأنصاراً تبنوها ونشروها ودافعوا عنها، وكانت البعثات العلمية التي أرسلت إلى أوربا صيداً سهلاً للتأثير عليها وتحويلها إلى أبواق تصدح بأفكار المحتل وتسوق نظرياته وكان للنصارى العرب في الداخل الإسلامي دور كبير في تسويق هذه النظريات والترويج لها والدعوة إليها.

وبعد سقوط الخلافة دار جدل كبير حول شكل الدولة التي يجب أن تكون،فمن داع إلى إعادة الخلافة،ومن داع إلى إقامة دولة قومية ووطنية تجعل من العرق العربي أساس تشكلها، وكان في مقدمة هؤلاء النصارى العرب،الذين دعوا إلى قيام دولة قومية عربية لا دينية، ورأوا في الدولة الدينية تهديداً لتطلعاتهم السياسية، فراحوا يكيلون السباب والشتائم للدولة التي حمتهم قروناً من الزمان، وعاشوا في كنفها

ورعايتها، فأنشأوا جمعيات سرية تناهض الخلافة الإسلامية، وتدعوا إلي قيام حكومات قومية غير دينية، منها جمعية بيروت، والعربية الفتاة، والحزب القومي السوري وحزب البعث العربي الاشتراكي مشيل عفلق ثم نشطوا في نشر أفكارهم، فحرروا الصحف والمجلات،وطعمّوها بأفكارهم العلمانية العفنة، تحت مسميات براقة انخدع بها الناس وصدقوها، فأصدروا صحفا كثيرة كالجنان، والمقتطف،والهلال،وكان محرروها كناصيف اليازجي،ويعقوب صروف، وجرجي زيدان، يمثلون طلائع العلمانية في الشرق الإسلامي ولنقرأ معاً بعض أفكار طليعة الشر، يقول شبلي شميل: ليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين ٠

ويقول أما في العصر الحديث فالوحدة تتم بخلق الولاء القومي والفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، ورفع هؤلاء النصارى العرب شعاراً ماكراً وهو الدين لله، والوطن للجميع وهو شعار وإن بدا جميلاً في لفظه، إلا أنه خبيث في معناه، إذ إنه يوجز العلمانية في لفظ مختصر يفصل فيه بين ما لله وهو الدين وما للناس وهو الوطن وكأن هناك تضاد بينهما وفق النظرة الغربية العلمانية في الفصل بين الدين والحياة ومن أسباب ظهور العلمانية في العالم الإسلامي ظهور حركة الاستشراق،وهي حركة تفرغت في أغلبها للتشكيك في التراث

الإسلامي، والطعن في ثوابته كالنبوة والقرآن والتاريخ الإسلامي ككل ومنه الدولة الدينية، فأنشئوا مراكز بحوث،وألفوا كتب تحاول الطعن والتشكيك في الإسلام عقيدة وشريعة، وألقوا الشبه على مسامع المسلمين في قرآنهم ونبيهم وإسلامهم، وقاموا بإحياء الفرق البائدة والطوائف الشاذة من أجل تشكيك المسلم في دينه، وتهيئته لتقبل الأفكار الضالة، والآراء الباطلة ولاقت هذه الحركة أتباعا في الداخل الإسلامي، روجوا فكرها،ودفع الاحتلال في هذا الاتجاه، فجعل من العلمانية واقعاً يعيشه المسلمون، فقام بإنشاء محاكم مدنية وجعل القانون الوضعي هو الحاكم في شؤون الناس ولا أدلَّ على ذلك مما قام به الإنجليز في الهند من إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية، وكذلك فعل نابليون في مصر إذ أحلَّ القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية،حتى لم يبق من الشريعة إلا ما يسمى بالأحوال الشخصية، وقد ظل هذا الوضع قائماً في شتى البلاد الإسلامية في مؤشر صريح على أن النظم الحاكمة ما هي إلا ربيبة الاستعمار وامتداده الفكري والسياسي وقد أدى ضمور الجانب العلمي لدى المسلمين، وانبهار بعض شيوخهم بالنموذج الغربي إلى إضعاف مقاومتهم لهذه الأفكار الشاذة والآراء المنحرفة، إلا أن انتشار الوعي الإسلامي لدى المسلمين في الآونة الأخيرة، أدى إلى انحسار جزئي للعلمانية، فظهرت في جانب الاقتصاد البنوك الإسلامية، وفي جانب التعليم المدارس الإسلامية من أدنى المستويات إلى أعلاها،

وجانب الأخلاق التزام كبير في كثير من البلاد بالزي الإسلامي، وهي تطورات وإن بدت جزئية إلا أنها خطوات هامة في سبيل عودة المجتمع ككل إلى الإسلام في شتى نواحيه.

لوحظ بعد قيام الثورات العربية الأخيرة التى بدأت بتونس كثرة الحوار عن شكل الدولة القادم هل هو علمانى أم إسلامى هل دينى أو لا دينى ولكى ينطلى المفهوم على من عندهم نصف وعى أسموها الدولة المدنية وهذا خطأ يعيه من لديه وعى فالدولة المدنية عكس الدولة العسكرية ولكن من أطلق ذلك ربما يكون خبيثاً أراد أن يغير المسمى العلمانى لينطلى على المسلمين فيسميها دولة مدنيه وحقيقية الأمر هى علمانية لا دينية والمؤسف أنى سمعت شباباً كثيراً فى مداخلات مع بعض البرامج ليس عنده ما يمنعه أن يعلن صراحة فى وسائل الإعلام أنه علمانى بحت لا يريد أن يكون للدين أى علاقة بأمور الحياة ولهذا سطرت هذه الكلمات فى أسلوب مبسط بعيداً عن حذلقة الكتاب ولم استخدم مصطلحات يكرهها القراء كثيرًا فهى تستخدم لإشعار القارئ بمدى ثقافة الكاتب ولكنى يهمنى أن يعى القارئ ما أريد إيصاله له ٠

أسامة عبد الرحمن